اللّغة العربية و الرهانات المستقبلية (من بلاغة الرسم إلى بلاغة الرقم)

الدكتور عبد الحق عمور بلعابد
أستاذ نظرية الأدب و الأدب المقارن المشارك
قسم اللغة العربية وآدابها-كلية الآداب
جامعة الملك سعود-المملكة العربية السعودية

ملخص البحث :

تواجه اللغة العربية تحديات كبيرة على جميع الأصعدة والمجالات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية،في ظل هذا العالم المتعولم الذي أصبح قبيلة واحدة بألسن متعددة،فكيف يمكن للغة العربية أن تقف أمام هذه الرهانات التكنولوجية التي بدأت تزحف على المنظومة التعليمية العربية بكل أطوارها ؟،وكيف يكمن للغة العربية أيضا أن تنتقل من بلاغة الرسم البيانية إلى بلاغة الرقم الافتراضية ؟ متجاوزة ذلك الإنسان التواصلي الذي يسعى لطلب المعاش بعقله الكسبي النظري إلى ذلك الإنساني التداولي الوسائطي الذي يطلب الغنى بعقله العلمي التجريبي ؟

وهذه الأسئلة العديدة والمتعدد تحتاج تدبرا وتدبيرا من خبراء اللغة العربية وتضافر الجهود وتوحيدها،وهذا كله قصد تمكين اللغة العربية من خلال مستعمليها أن تنخرط في مجتمعات المعرفة المنتجة كائن لغوي يعي بهذه الرهانات المستقبلية التي تستشرفها اللغة العربية.

لهذا سنتعرض إلى ثلاث مسائل مهمة في البحث :

1 - اللغة العربية من بيان اللسان إلى تبيان الإنسان.
2 - العقل اللغوي العربي من الصنعة إلى الصناعة.
3 - اللغة العربية من معرفة اللغة إلى مجتمع المعرفة.

* **الكلمات المفاتيح :**

اللغة- العقل – التواصل – العولمة – مجتمع المعرفة.

ARABIC LANGUAGE AND THE FUTURE CHLLENGES

ABSTRACT:

Arabic language faces a big difficulties at several levels (social and economic and cultural…),with the appearance of the globalization, that makes the world a small village and the languages as one language.

How can the Arabic language stand in front of the technological challenges, which started to join the Arabic educational organization, with all it's levels ? and how it could face and challenge this difficulties. And how can we buit knowledge society for this language ?

And this questions and other questions we will try to analyse and discuss it in this research.

Key Words : - languge – minds – communication – Golobalization – knowledge society

عتبة منهجية :

تواجه اللغة العربية تحديات كبيرة على جميع الأصعدة والمجالات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية، في ظل هذا العالم المتعولم الذي أصبح قبيلة واحدة بألسن متعددة، فكيف يمكن للغة العربية أن تقف أمام هذه الرهانات التكنولوجية التي بدأت تزحف على المنظومة التعليمية العربية بكل أطوارها ؟، وكيف يمكن للغة العربية أيضا أن تنتقل من بلاغة الرسم البيانية إلى بلاغة الرقم الافتراضية ؟ متجاوزة ذلك الإنسان التواصلي الذي يسعى لطلب المعاش بعقله النظري إلى ذلك الإنسان التداولي (الوسائطي)([1]) الذي يطلب الغنى بعقله العلمي التجريبي ؟

وهذه الأسئلة العديدة والمتعدد تحتاج تدبرا وتدبيرا من خبراء اللغة العربية وتضافر الجهود وتوحيدها، وهذا كله قصد تمكين اللغة العربية من خلال مستعمليها أن تنخرط في مجتمعات المعرفة المنتجة لكائن لغوي يعي بهذه الرهانات المستقبلية التي تستشرفها اللغة العربية.

لهذا سنتعرض إلى ثلاث مسائل مهمة في البحث، اكتفينا بإثارة النقاش فيها، لنتمكن في المستقبل من بحثها مستقلة لأهميتها البالغة:

4 – اللغة العربية من بيان اللسان إلى تبيان الإنسان.
5 – العقل اللغوي العربي من الصنعة إلى الصناعة.
6 – اللغة العربية من معرفة اللغة إلى مجتمع المعرفة.

1– اللغة العربية،بيان اللسان وتبيان الإنسان :

([1])– هذا المصطلح استخدمه علي حرب في كتاباته، غير أننا استعملنا ما يسميه بالإنسان التواصلي بمعناه اللغوي أي تحقيق فعل التواصل، إلا أننا استعرنا منه مفهومه للإنسان الوسائطي وهو عنده التواصلي أيضا الذي هو من جهة عامل من عوامل المعرفة، ومن جهة ثانية مواطن بيني، ومن جهة ثالثة أقرب إلى الوسيط منه إلى النخبة والطليعة، ينظر كتابه :
– حديث النهايات، فتوحات العولمة مآزق الهوية، المركز الثقافي العربي،ط2، سنة 2004، الدار البيضاء، المغرب،ص 203-204.

لما كان الإنسان كائنا لغويا لا يدرك المعارف إلا بعقله الكسبي،ولا يكتسب العلوم إلا بعقله التجريبي، لم يجد غير اللغة وسيلة لتواصله، وغير العلم المستعين بهذه اللغة مفتاحا لفهمه ومغلاقا لجهله.

فكانت اللغة ميزة إنسانية([1])، تحمل جملة رموز متواترة بين أفراد المجموعة البشرية التي تتحول بفعل الرابط اللغوي إلى مجموعة فكرية حضارية،وهذه الرموز سواء كانت ملهمة إلهاما أم منبثقة انبثاقا فإنها تمثل ضربا من التسليم الضمني بين مستعمليها، ثم إنها ترتبط فيما بينها بقوانين، وبفضل هذه القوانين تنصهر الرموز الجزئية في شبكة من القواعد المجسمة لبناء اللغة الكلي([2])، فهي في تنزيلاتها الاصطلاحية وسيلة تواصل لا يمكن للإنسان عمران العالم إلا بها،ولا اختطاط حياته المعاشية والرياشية – بتعبير ابن خلدون- إلا من خلال التخاطب بها مع غيره، لهذا قال أبو حامد الغرناطي في تحفته " زيادة لسان زيادة إنسان"([3])، أي أن من تعلم لغة غير لغته أحيى فيه إنسانا جديدا ليتواصل مع شعوب لا يستطيع بلوغها بلغة واحدة، فاللغة باعتبارها كائن حي([4]) نحيا بها وتحيا بنا،نحيا بها تواصلا وتداولا، وتحيا بنا تعاونا وتعاملا باعتبار ما طرأ عليها من تغيرات وتبدلات على المستوى التركيبي والدلالي.

وليست اللغة العربية ببعيد عن هذا الطرح، فالإنسان العربي لا يبين عن هويته إلا ببيان لغته فهو يحيا بها وتحيا به([5])، فقد اعتنى بها في جاهليته شعرا وخطابة ومثلا، وهذبها في إسلامه دينا وعلما وحضارة، تسارعت إلى تعلمها الشعوب والقبائل، وهذا إيمانا من الإنسان العربي بأن معرفة اللغة هي قنطرة الوصول إلى لغة المعرفة .

1-1- اللغة دين وإيمان :

فاللغة العربية حفظت بحفظ القرآن الكريم وهي رسالة إلى الناس أجمعين، فقد ارتبط الفتح الإسلامي بانتشار اللغة العربية من ناحية أولى بواسطة سكان الجزيرة العربية الذين حملوا معهم لغتهم من قلب جزيرتهم، واستوطنوا في البلاد المفتوحة، ومن ناحية ثانية، بواسطة مسلمي البلاد المفتوحة الذين تبنّوا اللغة العربية مع دخولهم في الإسلام، ومن ناحية ثالثة، بواسطة فرض اللغة العربية على علم وثقافة وأدب أكثر أنحاء العالم المعروف آنذاك([6]) لهذا صانها رجالاتها تعلما وتعليما،ففهموا فقهها،وضبطوا نحوها وصرفها، وكشفوا أسرارها، وأبانوا عن بلاغتها، ومن أراد أن يلتحق بأهلها في العربية فعليه تعلمها، والنطق بها في أعز الأماكن وأشرفها، وهو الوقوف بين يدي

([1])- René Descartes,Discoure de la Méthode,8ed.Classique Larousse,Paris,1934, pp.56-58

([2])- عبد السلام المسدي،اللسانيات وأسسها المعرفية،الدار التونسية للنشر،سنة 1986،تونس،ص25.

([3])- أبو حامد الغرناطي، تحفة الألباب ونخبة الإعجاب، حرره وقدم له قاسم وهب، دار السويدي للنشر والتوزيع، أبوظبي، والمؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت،ط1، سنة 2003.

([4])- جورجي زيدان، اللغة العربية كائن حي، دار الجيل، ط 2، سنة 1988، بيروت، لبنان، ص 9- 11.

([5])- نجد تعميقا لهذه الفكرة في كتاب: إبراهيم السامرائي، اللغة والحضارة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، سنة 1977، بيروت، لبنان، ص 21- 26.

([6])- رمون طحان، دنيز بيطار طحان، اللغة العربية وتحديات العصر، دار الكتاب اللبناني ومنشورات المدرسة، ط 2، سنة 1989، بيروت، لبنان، ص 21.

الله تعالى، لأداء العبودية، ولم يتقبل عبادتهم إلا بقراءة كلامه تعالى الذي كان برهانا ساطعا على شرف اللغة العربية التي اتسعت له([1])، وهي تدرس في جميع أنحاء العالم الإسلامي.

1-2- اللغة علم وعمل :

وبهذا الحفظ الرباني، والخلافة الإنسانية لعلماء اللغة العربية استطاعوا الكشف عن كثير من المعارف والعلوم، لتصبح هذه الأخيرة تتكلم بلسان عربي مبين في عصرها الذهبي، إما بترجمة ونقل أمهات الكتب الفلسفية والمنطقية والطبية والفلكية، وإما أن تبدع فيها تصنيفا وتأليفا، وقد شهد لها التاريخ في وقتها بقدرتها على صناعات مصطلحات العلوم ومعرفة أدق حدودها في لغتها قبل نقلها، ليدرك أولوا العلم في تلك الفترة أن اللغة العربية هي الوسيلة الوحيدة لنقل العلوم والفنون والآداب، بل لقد اضطر رجال الكنيسة إلى تعريب مجموعاتهم القانونية لتسهيل قراءتها في الكنائس الإسبانية([2])، لنجد أنفسنا اليوم أمام تراجع علمي ومعرفي، كما نعيش فوضى مصطلحية في عديد من العلوم في البلد العربي الواحد.

1-3- اللغة حضارة :

فإذا كانت اللغة العربية لغة علم ومعرفة، على الرغم مما قيل عنها أنها لغة بداوة لنمط العيش الذي كان يعتاده العرب فبيئتهم قد فرضت عليهم نمطا من الحياة، فهم أبدا في تنقل ابتغاء أن يجدوا ما يعينهم على العيش والبقاء إن هذا النمط من الحياة قد أدى إلى أن يسلك العربي القديم سلوكا خاصا له مفاهيمه الخلقية المعروفة وهذا ما يجليه الأدب العربي القديم الدال على أن اللغة العربية وفت بهذه الحاجات الجديدة، وقد تفطن إلى هذا الباب الكبير اللغويون الأقدمون فصنفوا رسائلهم في طائفة من هذه الموضوعات ككتب النبات والشجر والإبل وخلق الإنسان([3])، و قد عرف هذا تطورا في عصور اللغة العربية خاصة في العصر العباسي الذي توسعت فيه جغرافيا اللغة العربية لتعلن على أنها لغة حضارية تشتمل على ألفاظ كثيرة شاملة لمدلولات كثيرة تعبر عن حاجات مختلفة عرضت للناس في مختلف العصور([4])، ولم تقتصر على الألفاظ الحاجية بل اصطنعت لنفسها ألفاظا علمية تتداول بين العلماء، ولأن حضارة الأمم والشعوب لا تقاس إلا بما تبدعه لغاتها وآدابها وفنونها،وقدرتها على التأثير في الأمم الأخرى، فلهذا كان من بين تعريفات الحضارة أنها لغة، وعن طريق هذه اللغة يتكون التفكير كله، ويكون التواصل كله،ويكون التفاعل بين العقول والأفكار...واللغة هي أضخم عملية

([1])- أحمد بن نعمان،"مستقبل اللغة العربية بين مراهنات الأعداء ومقومات البقاء"، عدد خاص حول العربية الراهن والمأمول،مجلة المجلس الأعلى للغة العربية، منشورات المجلس، سنة 2009، الجزائر، ص123-133.

([2])- عبد الكريم اليافي،دراسات فنية في الأدب العربي،دار الحياة،ط1،سنة 1972،دمشق،ص 19 وما بعدها.

ينظر أيضا :

- غوستاف لوبون، حضارة العرب، ترجمة: عادل زعيتر، دار إحياء الكتب العربية، ط1، سنة 1956، القاهرة، ص439.

([3])- إبراهيم السامرائي، العربية بين أمسها وحاضرها، وزارة الثقافة والفنون، سنة 1978، العراق، 59- 62.

([4])- إبراهيم السامرائي، اللغة والحضارة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط2، سنة 1977، بيروت، ص 8-9.

حضارية تنشئ الحضارة، وتتمثلها وتعبر عنها،وهي ذات رصيد حضاري لا حدود له،..([1])، وهذا ما عرفته الحضارة العربية الإسلامية زمن قوتها لما كانت مركز تأثير في الأمم الأخرى فأخرجت علماء أناروا ظلام العالم الغربي في وقتهم أمثال جابر بن حيان في الكيمياء،وابن الهيثم في البصريات، والخوارزمي في الرياضيات، وابن نفيس في الطب،وابن رشد في الفلسفة، وابن خلدون في العمران، وابن ماجد والإدريسي في الملاحة والجغرافيا...لتتناقل وتتلقى الأمم الغربية علومهم تلقيا إيجابيا لتصنع مركزها العلمي والمعرفي الجديد، لتعيد إنتاجه لنا في غير لغتنا بعد النهضة ليتلقاه بل يستهلكه الإنسان العربي استهلاكا سلبيا لا يد له فيه وكم كانت له أياد بيضاء فيه قبل أن تسوّد بظلام الاستعمار،وهنا يطرح سؤال مهم وملح في الآن نفسه:

هل يمكن للإنسان العربي أن يعيد بناء عقله اللغوي، ليدبر عمرانه الدنيوي من جديد كما فعل أسلافه ؟ سؤال كبير لا يمكن الإجابة عنه في بحث بل يحتاج إلى تضافر الجهود وحسبنا طرحه والتعرض إلى جانب من قضاياه.

2- العقل اللغوي العربي (بين صنعة العلم وصناعة العولمة) :

إن الناظر إلى ما نسميه بالعقل اللغوي،سيجده مركب مصطلحي علمي يضم تحته معاني جليلة، إذا أحسن الإنسان العربي فهم بلاغته، واستخدام آلياته، سيخرج حتما من أزمته اللغوية بل وأزماته الاقتصادية والسياسية، لأن هذا العقل اللغوي معقود عليه رهان التنمية البشرية من جهة، والتخطيط الإستراتيجي من جهة ثانية، فلا يمكننا أن نشك بأن اللغة تخلق العقل، أو على الأقل تؤثر في التفكير تأثيرا عميقا، وتسدده، وتوجهه اتجاها خاصا([2])، فلهذا كانت اللغات بحسب ابن خلدون ملكات شبيهة بالصناعة تحقق عمران هذا الإنسان([3])، من خلال عقله اللغوي الذي لا بد أن تتضافر مكوناته، وتتناصر مركباته للكشف عن بنيته وبنائه.

فإذا أردنا أن نفكك هذا المركب المصطلحي،سنجد بأن العقل في أصل حده نظام (من المقولات) دافع للمفسدة جالب للمصلحة، ذو وظيفة تعاملية([4])، وهنا تماثل وتشابه مع اللغة من حيث هي نظام من العلامات([5])، الدافعة لمفاسد اللسان، والمصلحة لمنطقه، وهي ذات وظيفة تواصلية(اجتماعية).

([1])- شكري فيصل ،" قضايا اللغة العربية المعاصرة، بحث في الإطار العام للموضوع"، ضمن كتاب، من قضايا اللغة العربية المعاصرة، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، سنة 1990،تونس،ص 32.

([2])- محمد الينبعي،" اللغة العربية في أوطانها بين التحديات والآفاق"، عدد خاص حول العربية الراهن والمأمول، مجلة المجلس الأعلى للغة العربية، منشورات المجلس،سنة 2009، الجزائر،ص 92.

([3])- ابن خلدون عبد الرحمن (732-808هـ)، مقدمة ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، طبعة جديدة منقحة ومصححة،ط1، سنة 2004، بيروت،لبنان، ص 621-630.

([4])-ابن سينا، أبوعلي الحسين ، رسالة الحدود، تحقيق عبد الأمير الأعسم، ضمن كتاب المصطلح الفلسفي عند العرب(نصوص من التراث الفلسفي في حدود الأشياء ورسومها)، الدار التونسية للنشر،سنة 1991،تونس،ص 269.

وللتعمق أكثر ينظر : طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، ط1، سنة 1998، الدار البيضاء، المغرب، ص 237 وما بعدها.

([5])- F.De Saussure,cours de linguistique générale,ed.ENAG,Alger,1994.

لنجد أن الحدّين قد تشاجرا في كثير من مقوماتهما الدلالية،ليقوم الدليل على تعقل الإنسان لهذه اللغة،التي جعلها له الله عمارة وجعل اللسان –المتوسط بينهما- عبارة، لتتم على الإنسان نعمة عمران العالم، وبهذه المقاربة يمكننا حدّ العقل عامة([1]) والعقل اللغوي على وجه الخصوص بأنه نظام من العلامات والبنيات اللغوية والحضارية، التي تعمل على تدبير المملكة الإنسانية في تواصلها العلمي، وتداولها العملي في هذا العالم المتعولم، كما نجد أن هذا العقل اللغوي ينقسم على نفسه إلى عقلين أساسيين :

1- عقل لغوي تواصلي : وهو العقل الذي يكون في الإنسان ويحقق به حاجته من استخدامه للغته، وهو ذو وظيفة تواصلية تبليغية، وهذا ما أشار إليه ابن جني في تعريفة للغة كونها :" أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم..."([2])، والغرض هنا ينصرف إلى وجهه الأول أي الضروري من الحياة، وبهذا نحقق واقعا لغويا متفاعلا ومعافى من الصراع المجتمعي و اللغوي، وهذا حتما يمر عبر سنّ استراتيجيات تواصلية بشكل يحافظ على لحمة الكيان المجتمعي المجتمعي بتحقيق توازن وظيفي متواضع عليه([3]).

2- عقل لغوي تداولي : وهو العقل العلمي والعملي الذي نتجاوز به الحاجي الضروري من استخدامنا للغة إلى أن تصبح لغة تخصصية هي في الأساس لغة العلوم والمعارف تفتح للإنسان (العربي) آفاق للتدبر والتبصر،وهذا ما أشار إليه ابن حزم الأندلسي في قوله:" لا بد لأهل كل علم وأهل كل صناعة من ألفاظ يختصون بها للتعبير عن مراداتهم وليختصروا بها معاني كثيرة "([4]).

فإذا نظرنا إلى العقل اللغوي العربي من خلال هذا الطرح، سنصطدم بحقيقة قاسية وهو أن العقل اللغوي العربي قد تراجعت فعالياته الإنتاجية وطاقته الإبداعية، للأزمة التي يعيشها بسبب إهمال وعزوف الجيل الجديد عن الحفاظ على لغتهم العربية، وعدم قدرة المناهج التدريسية التي تقدم لهم من خلالها، وعجز المختصين على وضع طرائق تعليمية لأبناء الوطن العربي كفيلة بدفعهم إلى الرجوع إليها والتمكن منها([5])، وزيادة على ذلك ما يقوم به الإعلام بشتى وسائله في إضعاف الملكة اللغوية وإفشاء اللحن والأخطاء في وسط الطلبة وحتى المثقفين.

ليتوقف بذلك العقل اللغوي العربي عند حدود العقل اللغوي التواصلي الذي يضمن الحد الأدنى من التواصل قصد تلبية الحاجات اليومية، دون انصرافه للتفعيل الجيد لعقله اللغوي التداولي، الذي يعرف صعوبات في التنشيط لفقدانه للسياسات اللغوية أو لعدم تنفيذها من قبل الدول العربية،أو لعدم وجود تخطيط لغوي مستقبلي بها، يساعد على الحفاظ على اللغة العربية، خاصة والعالم اليوم

([1])- يمكن التوسع في حدود العقل وتعريفاته خاصة في هذا القرن والقرن الماضي من خلال كتاب مهم لـ : برتران سان- سرنان، العقل في القرن العشرين، ترجمة: فاطمة الجيوشي، منشورات وزارة الثقافة، سنة 2000، دمشق.

([2])- ابن جني، أبو الفتح عثمان، الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، سنة 1957،القاهرة،ص 33.

([3])- رفيق لبوحسيني، الأبعاد الرابطة بين اللغة العربية والتواصل، ضمن كتاب: التواصل نظريات وتطبيقات، الكتاب الثالث، إشراف محمد عابد الجابري، منشورات الشبكة العربية للأبحاث والنشر،ط1، سنة 2010، بيروت، ص 71.

([4])- أبو الحسن حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء،تحقيق محمد الحبيب بن خوجة، سنة 1966،تونس.

([5])- نبيل علي، الثقافة العربية وعصر المعلومات، رؤية لمستقبل الخطاب الثقافي العربي،م جلة عالم المعرفة، العدد 265،الصادرة عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، يناير 2001، دولة الكويت، ص 230.

يعيش زمن العولمة التي تتجاوز فيها الهويات وتمحي فيها الخصوصيات، ليصبح اللسان غير اللسان، والإنسان غير الإنسان، وبهذا يتلبد مستقبل اللغات ومنها اللغة العربية، الذي نراه مرتبطا دون شك بتكوين وعي لغوي جديد لدى جمهور المثقفين، وهذا الوعي يكون مدركا لأهمية اللغة العربية بوصفها أهم سمات الانتماء، ولأنها الأداة الأولى للتعبير والتفكير، والسمة المحددة لإنسانية الإنسان([1])، غير أن هذا المستقبل الطموح سيصطدم بجدار صلب بناه عقل تداولي عولمي يعمل جاهدا على محو الهويات اللغوية، واغتيال العقول اللغوية وإحلال هويات لغوية مهيمنة([2])، وهذا ما لم يسهم الإنسان العربي في ردم هذه الفجوة الرقمية والمعرفية بينه وبين صناع اللغات الرقمية في الغرب، الذين جعلوا من العالم قرية صغيرة، ومن اللغات لغة متوحدة، فلا يمكننا إخراج العقل اللغوي العربي من أزمته إلا بمعرفة مكمن الداء لمعالجته.

3- اللغة العربية من معرفة المجتمع إلى مجتمع المعرفة([3]):

3-1- معرفة المجتمع :

لقد رأى اللسانيون من قبل بأن اللغة مؤسسة اجتماعية ذات طاقة تواصلية بين أفرادها لتلبية أغراضهم الحياتية،لهذا احتاجت هذه اللغة لعقل عملي يسير قطاعاتها ومشاريعها، ونشر المعرفة اللغوية عند فئات مختلفة من أبنائها، وهذا من خلال إنشاء مؤسسات تعتني بخدمة وتطوير وتمكين اللغة العربية في وجدان متكلميها ومنها :

- المدارس والجامعات، قصد تطوير مناهج تدريس اللغة العربية.
- مخابر البحث العلمي المتخصص في ترقية اللغة العربية كلغة عالمية.
- المجامع اللغوية ودورها في التمكين من اللغة، وتوطين الدخيل منها خاصة في مجال المصطلحات.
- فتح قنوات متخصصة في تعليمية اللغات ومنها اللغة العربية، وكيفية تعليمها للناطقين بغيرها.
- تكثيف نشاط الجمعيات والمنظمات المتخصصة في حماية اللغة العربية، وتحفيزها.

وبهذا لا يمكن تصور وجود اللغة إلا وهي مرتبطة بالمجتمع الذي يستخدمها أشد الارتباط، يكون من خصائصها ووظائفها بجانب كونها تسهم في صنع الفكر وتوجيهه وتحديد خصوصياته من مجتمع لآخر، إنها تعد أصدق مؤرخ لحياة هذا المجتمع وحياة ثقافته وحضارته وذاكرته التي تختزن عنه كل ما يتعلق بعاداته وتقاليده وسلوكه، وإيمانه وكفره، وغناه وفقره،وتعلمه وجهله، وأدبه ومهارته وفنه، بل إنها ذاكرة تحتفظ أيضا بأدق الصور والمعلومات عن حياته اليومية،وعن بيئته ومناخه وطبيعته الحية والميتة([4])، وباختصار كل ما يريد المرء أن يعرف عن هذا المجتمع من تفاصيل قد لا نجد أحيانا من الأدلة على وجودها في وثائق التاريخ ولكننا نجدها في تضاعيف كلمة

([1])- محمود فهمي حجازي، علم اللغة بين التراث والمناهج الحديثة، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، سنة 1999، القاهرة، ص 94-95.

([2])- روبرت فليبسون، الهيمنة اللغوية، ترجمة:سعد بن هادي الحشاش، مركز الترجمة بجامعة الملك سعود، سنة 1428هـ، المملكة العربية السعودية، ص 130، وص 145.

([3])- وتعميق الفكرة ينظر الكتاب المهم في بابه لـ : نبيل علي، العقل العربي ومجتمع المعرفة مظاهر الأزمة واقتراحات الحلول، ج 1، سلسلة عالم المعرفة، العدد 369، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب،نوفمبر 2009، دولة الكويت.

([4])- عبد العلي الودغيري، في الهوية والثقافة، دار البوكيلي،سنة 1995، المغرب، ص 11.

من كلمات القاموس اللغوي،فبمراجعة اللسان العربي في قواميسه ومعاجمه القديمة، سنتعرف من خلاله على أحوال العرب القدامى وعقائدهم الجاهلية وأوصاف حياتهم وتفكيرهم ومعيشتهم وبيئتهم وجفافها وقسوتها ما يغنينا عن قراءة كتب ابن خلدون وابن الأثير أو غيرها من كتب مؤرخي العرب الكبار.

وبالانتشار الواسع لاستخدام اللغة العربية من قبل الإنسان العربي في الحياة اليومية والمهنية والعلمية ستساعده على معرفة مجتمعه،لتصبح عنده تداولية وتنافسية مع لغات أخرى على جميع المستويات (الاجتماعية،والاقتصادية،والسياسية،والثقافية...)، وبهذا يبنى الإنسان العربي التواصلي والتداولي المؤهل لغويا لإشراكه في التنمية الحضارية لأمته، لنكون بذلك وضعنا أول لبنة لمجتمع لغوي عربي، يجعل من لغته هوية راسخة وذات أبعاد عالمية تواجه تحديات العالم المتعولم.

3-2- مجتمع المعرفة :

فإذا كانت معرفة اللغة تتطلب أن تكون مؤسسة اجتماعية كما رأينا، فإن مجتمع المعرفة يطلب منها أن تكون مؤسسة اقتصادية صناعية بالدرجة الأولى، تعمل عل رفع الإنسان العملي إلى إنسان علمي ذو عقل تجريبي، لأن الإنسان المعاصر يقبل على لغة بعينها بقدر ما تقدم له من معرفة([1])، لهذا كان من أهداف مجتمع المعرفة رفع سقف التنمية اللغوية، والتخطيط اللغوي على حد سواء لأنهما رهانا مستقبل اللغة العربية.

إلا أن الباحث يقف في حيرة من أمره، على الرغم من جهوده الفردية، لما يرى بأن الإدارة الرشيدة للإصلاح اللغوي في الوطن العربي لم تعد من أولويات الدول العربية، وهذا ما يزيد من الفجوة اللغوية أمام العاميات واللهجات من جهة، والفجوة الرقمية أمام المعلوماتيات والبرمجيات من جهة أخرى، ليظهر العجز على كثير من القطاعات التي تبني مشاريعا لا تجد لها طريقا للتطبيق الفعلي ولا التسويق العملي، ويرجع ذلك إما لنقص الخبرة العلمية المحلية المؤهلة، وإما لنقص التخطيط الإستراتيجي كما نبين هنا([2]):

- تعثر الكثير من السياسات اللغوية في الوطن العربي، لتبقى قراراتها وتوصياتها حبرا على ورق.
- لا توجد سلطة قرار للمجامع اللغوية العربية، مما يبقي ما تقدمه غير ملزم للإنسان العربي، كذلك ما تعرفه من مشاكل في التموين لتحقيق مشاريعها الخادمة للغة العربية في عصر العولمة.
- قصور مناهج وطرائق تدريس اللغة العربية التي لم تمكنها من الخروج عن الأسلوب التلقيني إلى الأسلوب التفاعلي، أمام اللغات الأخرى، مما تسبب في العزوف عن تعلمها.
- عدم الاستمرار في سياسة التعريب في الوطن العربي وتحديث آلياته،وتطوير مناهجه وأساليبه، ليجابه المدّ العولمي.

([1])- محمود فهمي حجازي، علم اللغة بين التراث والمناهج الحديثة، ص 96.

([2])- نبيل علي، الثقافة العربية وعصر المعلومات، رؤية لمستقبل الخطاب الثقافي العربي، ص 236-237.

- تراجع الهوية اللغوية لدى المواطن العربي، نتيجة للأسباب السابقة وكثرة الفضائيات التي تساهم بالقسط الوفير في تدني مستوى اللغة العربية.

غير أن اللغة العربية تثبت يوما بعد يوم عن إمكانياتها الخلاقة في منافسة بلاغة الرقم،كما نافست بل وتصدرت من قبل بلاغات الرسم، فمن خصائصها العديدة التي تبيّن ذلك التزامها بالقاعدة الذهبية فيما يخص التوسط والتوازن اللغوي، فاللغة العربية تجمع بين كثير من خصائص اللغات الأخرى...إذ تتسم منظومة اللغة العربية بتوازن دقيق وتآخ محسوب بين فروع اللغة المختلفة([1]).

ومن منظور معالجة اللغات الإنسانية آليا بواسطة الكمبيوتر، أثبتت العربية جدارتها كلغة عالمية، إذ يسهل تطوير النماذج البرمجية المصممة للغة العربية،لتلبية مطالب اللغات الأخرى أولها الإنجليزية([2])، وبهذا تصبح اللغة العربية تتكلم لغة الحاسوب والرياضيات الحديثة لأنها تقع في الفئة العليا كحالة خاصة.

وبانتقال الإنسان العربي من معرفة لغته داخل المجتمع إلى بناء مجتمع معرفة لهذه اللغة جاعلا منه منهجا ومنهاجا في تدبيراته الحياتية والعلمية،مبرزا خصائصه التي تتوافق مع عالم المعلوماتية والرقمية الذي نعيشه([3]):

- إنتاج المعرفة وليس استهلاكها حيث يقوم هذا المجتمع بإنتاج المعرفة في المجالات المتعددة وبيعها، باعتبارها ركنا اقتصاديا مهما يقوم عليه الاقتصاد الوطني، فاستهلاك المعرفة لا يكفي وإنما لا بد من إنتاجها.
- توفر مستوى عالي من التعليم، والنمو المستمر في الوسائل التعليمية.
- توفر مراكز البحوث والتطوير، والعمل على تزويدها بالأفراد المؤهلين والمعدات اللازمة وتطويرها باستمرار، والاستفادة من الخبرات المتراكمة، والمساعدة في خلق وتوفير المناخ الثقافي الذي يمكنه من فهم مغزى التغييرات والتجديدات وتقبلها والتجاوب معها.
- القدرة على إنتاج البرمجيات(اللغوية)، وليس إنتاج المعدات الصلبة أو الأجهزة التي تستخدم في الحصول على المعرفة، فالمعرفة تحتاج إلى تجديد مستمر كي تتناسب مع المستجدات لذلك قد تحتاج إلى تقنية وبرمجيات جديدة تتناسب معها.

وعليه فاللغة العربية لا يمكن أن تبني مستقبلها إلا بتبني مجتمع المعرفة كأفق معرفي وعلمي جديد، وأن ننظر إليها نظرة شمولية وهي تنسج علاقاتها مع معارف مختلفة،بتركيزنا على جوانبها الخاصة التي تميزها عن باقي اللغات منها([4]):

- العلاقة بين نظام الصرف العربي وثرائه الاشتقاقي الذي لا نجده في لغة من لغات العالم.
- العلاقة بينها وبين فنون الخط العربي والفنون التشكيلية وهندسة الديكور.

([1])- المرجع نفسه، ص 237.

([2])- المرجع السابق.

([3])- إبراهيم الخلوف الملكاوي، إدارة المعرفة، الممارسات والمفاهيم، مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع، سنة 2006، عمان الأردن، ص18.

([4])- نبيل علي، الثقافة العربية وعصر المعلومات، رؤية لمستقبل الخطاب الثقافي العربي، ص 238.

وهذا لا يتحقق إلا بإعداد فريق من المتخصصين على درجة كبيرة من الكفاءة ومن مجالات علمية مختلفة، مع التركيز على الخلفية المشتركة في اللسانيات، وفقه اللغة، وفلسفة اللغة، وهندسة النظم، وتكنولوجيا المعلومات وكيفية استخدامها في المجال اللغوي.

الخاتمة :

بعد هذا الجهد العلمي الذي نرى أنها غايته لا تكتمل إلا بتضافر جهود العلماء في جميع التخصصات لأن اللغة العربية وإن كانت وسيلة للتعبير فهي أيضا موضوع للتفكير المعرفي، وآلية للتدبير العلمي.

وحسبنا أننا اجتهدنا لنقول أنه يمكننا أن نرى اليوم اللغة العربية برؤيا عالمية،تدخلها إلى التنافس في سوق التداول اللغوي العالمي، وهذا بعد انخراطها الجدّي في مجتمع المعرفة الذي يعد مجتمع للإستراتيجيات المستقبلية، باعتماده على السبل التكنولوجية المتطورة جاعلا من أولوياته التنمية اللغوية في المجتمع، والتخطيط المستقبلي لهذه اللغة،ليضمن بذلك استمراريتها أمام هذا المدّ العولمي القاتل للهويات اللغوية.